عوامل ازدهار النشاط التجاري في المدن الإيطالية (البندقية - جنوة - وبيزا) إبَّان العصور الوسطى

د.عز الدين يونس حسن الدرسي
كلية الآداب – جامعة بنغازي

أ.يوسف امراجع محمد العقوري
كلية الآداب جامعة بنغازي

ملخَّص البحث:

لقد شهدت شبه الجزيرة الإيطالية إبَّان العصور الوسطي ظهور نهضة اقتصادية وبالأخص في المجال التجاري، وأهم المدن التجارية المتميِّزة في هذا الجانب البندقية (Venezia) وجنوة (Gelova) وبيزا (Pisa) وفي واقع الأمر هناك عدَّة عوامل ساعدت على نهضة هذه المدن، ويمكن حصرها في الآتي: الموقع الجغرافي الواقع في الشواطئ الشمالية للبحر المتوسط وظهور نظام القومونات (Commune) وكذلك دور الأسواق المرتبطة بالمناسبات (Fiere)، والحروب الصليبية، والعلاقات التجارية مع الإمبراطورية البيزنطية، وأخيراً في هذا الجانب لا ننسى دور الأساطيل التجارية في ازدهار التجارة في المدن الثلاث.

الكلمات المفتاحية: البندقية. جنوة. بيزا. العصور الوسطى. التجارة.

المقدِّمة:

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

لقد برزت خلال العصور الوسطي في حوض البحر المتوسط عدَّة دول ومدن، من بينها تلك التي ظهرت في إيطاليا وأهمها: (البندقية، جنوة، بيزا) والتي اشتهرت آنذاك بأنَّها مدن تجارية، وذات نشاط بحري، ومن خلال هذا البحث سنتطرَّق إلى العوامل التي أدَّت إلى ازدهار هذه المدن تجارياً خلال قرون العصور الوسطى.

عند الإقبال على دراسة أي موضوع من الطبيعي أنْ يكون وراء اختياره عدَّة أسباب، والتي يمكن حصرها في الآتي:

1. الرغبة في دراسة طبيعة النشاط التجاري للمدن الإيطالية.
2. التطلُّع لمعرفة أهم الجوانب المؤثرة سلباً وإيجاباً على النشاط التجاري للمدن الثلاث (البندقية، جنوة، بيزا)

أمَّا فيما يخص أهداف الدراسة فهي:

1. محاولة إزالة الغموض الذي يكتنف بعض جوانب الموضوع.
2. الوقوف على أهم العوامل التي أدَّت إلى ازدهار النشاط التجاري في المدن الإيطالية الثلاث.

أمَّا فيما يتعلَّق بأهمية الموضوع فهي تكمن في أنَّه يعطي فكرة موسَّعة عن النشاط التجاري للمدن الإيطالية، خلال العصور الوسطى، وأهم عوامل ازدهاره من خلال المراجع العربية والأجنبية.

أمَّا عن المنهج الذي اتبعناه في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي السردي، الذي يعتمد على عرض المعلومات التاريخية بحسب تسلسلها الزمني، واستخراج الحقائق التاريخية منها.

لقد واجهتنا صعوبات أثناء كتابة هذا البحث وهي:

1. تركيز أغلب المؤلفين في كتاباتهم على البندقية وجنوه، ولم يتطرَّقوا كثير لبيزا.
2. عدم وجود كتب عربية تتناول موضوع القومون بشكل مفصَّل، عدا بعض الرسائل العلمية.

أقيمت حول هذا الموضوع عدَّة دراسات سابقة، ولكنَّها لم تكن مخصَّصة لهذا الموضوع بشكل كامل، ومن بين هذه الدراسات:

1. العلاقات التجارية بين جنوة والمغرب أواخر العصور الوسطى من القرن الثالث عشر، حتى منتصف القرن الخامس عشر، (رسالة دكتوراه) لمؤلفها (د. عزالدين يونس الدرسي) هذه الدراسة شاملة ووافية للموضوع فيما يتعلَّق بجنوة، أمَّا البندقية

وبيزا فتم التطرُّق لهما من خلال إعطاء الأمثلة في العرض التاريخي، وذلك لأنَّ الدراسة مخصَّصة لمدينة جنوة.

2. العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى لمؤلفه (د. عادل زيتون) هذه الدراسة قيِّمة، ولكن ما يؤخذ عليها عدم تطرُّقها لأثر الموقع الجغرافي في ازدهار النشاط التجاري في المدن الثلاث.

تمكنَّا بعون الله من الحصول على عدد من المؤلفات، التي من خلالها أنجز هذا البحث ومن هذه المؤلفات:

1. مجدي يسن عبدالعال عبدالله سلام: العلاقات بين دولة بني مرين والجمهوريات الإيطالية وقد استفدت منها كثيراً في البحث، وهي رسالة ماجستير غير منشورة.

2. عزالدين يونس حسن: البندقية وأثرها في العلاقات بين الشرق والغرب، وقد استفدت منها في كتابة هذا البحث.

لقد تم تقسيم البحث إلى النقاط التالية :

أولاً- الإطار الجغرافي للمدن الإيطالية (البندقية، وجنوة، وبيزا) وأهميته:

لقد امتازت المدن الإيطالية البندقية(*) ، وجنوة(**)، وبيزا(***)، بموقع جغرافي مهم على سواحل أوربا الجنوبية، المطلة على البحر المتوسط، وهذا الموقع كان له الدور المهم في ازدهار التجارة بها، بالإضافة إلى عدَّة عوامل أخرى، وهي على النحو الآتي:

1- البندقية :(فينيسيا) (venezia):

يمتد الإطار الجغرافي لمدينة البندقية في سهل منخفض على طول البحر الأدرياتيكي في المنطقة الممتدة ما بين بلدة أكويلية (Aquille) وكذلك بلدة رافنا (Ravenna)، ونهر إيزونتسو (Isonzo) ونهر رينو (Rino)، وهذه الرقعة جغرافياً تقع في الإقليم الشمالي لإيطاليا، ويتألف خليجها من جزئين أولهما: الذي يمتاز بكثرة الجزر الصغيرة ، والآخر الراكد، والذي يحتوي على المستنقعات، وجزر المدينة تمتلئ

بالمياه، وذلك خلال حركة المد، وبعدها تنحسر المياه خلال حركة الجزر، وتمتاز المدينة بكثرة عدد سكانها في تلك الفترة (سلام، 2005: 50).

وتجدر الإشارة إلى أنَّه قد أسِّست عدَّة مدن بالقرب من موضع البندقية نفسه، ويعود تأسيسها إلى الفترة ما قبل تأسيس البندقية نفسها، بل هي التي كان لها الدور البارز في بروز البندقية فيما بعد (علي، 2005: 17).

لقد امتازت مدينة البندقية بموقع جغرافي مهم؛ ممَّا جعلها نقطة اتصال بين العالمين الشرقي والغربي إبان العصور الوسطي، وهذه الميزة استغلَّها سكان المدينة جيداً، لتنعكس إيجاباً على النشاط التجاري بها في نهاية العصور الوسطى، كذلك أنَّ ميناء المدينة امتاز بأنَّ موضعه في شمال إيطاليا، وبذلك يعد قريباً جداً من مركز القارة الأوربية، هذا بالإضافة إلى أنَّه أحد الموانئ المطلة على البحر المتوسط (عزالدين، 2014: 17-18).

لقد كانت البندقية واحدة من أبرز القرى البحرية آنذاك، ورمزاً في التاريخ العسكري والبحري والتجاري وقد كانت مرافئها القلب النابض لقوتها(Orlando، 2021:64 - 66).

لقد منح الموقع الجغرافي للبندقية إمكانية السيطرة على النشاط التجاري في حوض البحر المتوسط، وذلك من خلال وصول تجارها إلى إسبانيا وإنجلترا، وحتى الدول الإسكندنافية، وذلك مرجعه أمرين وهما: الأول موقعها الاستراتيجي بين العالمين الشرقي والغربي واحتكاك تجارها بالمسلمين والنصارى على حد سواء، وهذا منحهم إتقان عدَّة صناعات مثل: صناعة الورق، وأنواع الزجاج، والأقمشة الحريرية والسجاد وغيرها من الصناعات، والأمر الثاني يعود إلى نقص الثروات والموارد الطبيعية في المنطقة التي تقع عليها المدينة، وهذا بدوره دفع سكانها إلى التوجُّه للنشاط البحري، مجبرين غير مخيرين، وهذا بدوره عاد بالنفع كثيراً على سكان المدينة (عبدالنبي، 2001: 35).

2- جنوة: (Gelova):

تقع مدينة جنوة على شواطئ البحر التيراني، وبالتحديد عند ساحل ليجوريا (الكناني، 1976: 57)، وتعد ثاني أكبر قوة تجارية إيطالية بعد البندقية، وهي تقع على الطريق الرابط عبر الساحل بين دول أوربا والمدن الإيطالية (عزالدين، 2014: 3)، وقد كانت أيضاً مرتبطة بإقليم لمبارديا الغني، وذلك منذ القدم من خلال طريق في جبال أبنين تم تشييده من قبل الرومان، كذلك ارتبطت عن طريق ساحلي بمدينة روما، كما ارتبطت من خلال طريق ساحلي آخر من الناحية الغربية بكل من إقليم بروفانس، ومدينة نيس (الكناني، 1976: 57).

والجدير بالذكر أنَّ مدينة جنوة ذات جذور ضاربة في التاريخ، شيدت على جبل مرتفع جداً، ومطل على ضفاف البحر، واتخذت مساكن المدينة شكل الأبراج المتآلفة من عدة طوابق، وسكان المدينة عرفوا بنشاطهم البحري والتجاري، وهذه كانت السمة البارزة لسكَّانها (مجدي، 2005: 52).

تتمتع مدينة جنوة بموقع استراتيجي مهم، وذلك باعتباره يربط ما بين سهل المبارديا، والمناطق الأخرى من إيطاليا، وهذا أعطاها مكانة تجارية مميَّزة، ومَّما زاد في ازدهار سوقها التجاري أنَّها كانت غير منغلقة على نفسها تجارياً؛ بل كانت لها

صلات تجارية مع المناطق البعيدة، وكانت تصل إليها البضائع منها، وذلك لأنَّ سوقها أتسم بطابع الانفتاح على كل الأنشطة التجارية (عزالدين، 2014: 5-6)، كذلك كانت جنوة تشكِّل حلقة وصل بين العالمين الإسلامي والأوربي (الكناني، 1976: 56)، ومن الطبيعي أنْ يعطي هذا الموقع سمة النشاط لمينائها، وبالتالي ازدهار التجارة فيه.

جنوة ليست مدينة على شكل بحيرة، لكنَّها كانت مدينة ساحلية تميزت منذ القرن العاشر بوجود مجموعة كبيرة من التجار والبحارة وكذلك وجود أسر معيَّنة مسئولة عن تصنيع السفن، فلا يدخل إلى تلك الأماكن إلا أبناؤهم وأحفادهم وذلك من أجل الحفاظ على السرية عند تصنيع وتطوير وتسليح السفن (Benvenuti، 1989: 185 - 186).

3- بيزا :(Pisa):

هي مدينة معروفة لا يفصلها عن شاطئ البحر سوى أربعة أميال، ويفصلها عن مدينة جنوة الواقعة غربها (60 كيلومتر) ويخترق المدينة نهر أورنو، وهي غير محصَّنة بسور، وميناء المدينة هو النهر الذي يخترقها فتدخل فيه السفن وتخرج منه، بينما ميناؤها الشهير والرئيس هو لجهورن، وقد عرف أهالي المدينة ببراعتهم في المعارف البحرية والرماية، وقدرتهم على صناعة المراكب الحربية والسيوف، بالإضافة إلى أنَّهم كانوا يصدِّرون القطن والنحاس وعدد من السلع الأخرى لمختلف المناطق، ولكن ما يؤخذ عليهم هو اتصافهم بالخيانة والغدر(مجدي، 2005: 54).

لقد ساعد الموقع الجغرافي لبيزا والذي تتوفَّر فيه الأخشاب بكثرة على إقبال سكانها على صناعة السفن، وهو ما جعلهم يمارسون نشاطهم التجاري مع عدِّة مناطق وتصدير بضائعهم إليها كالزعفران، وغيره من البضائع (مجدي، 2005: 54).

لقد انتهت أسطورة بيزا على يد أساطيل جنوة حليفتها لأكثر من قرن في صد هجمات المسلمين (Angelini، 2021: 34).

وخلاصة القول في هذا الجانب أنَّ موقع إيطاليا هو مصدر دخولها للتاريخ (Braudel،F، 2002: 5.).

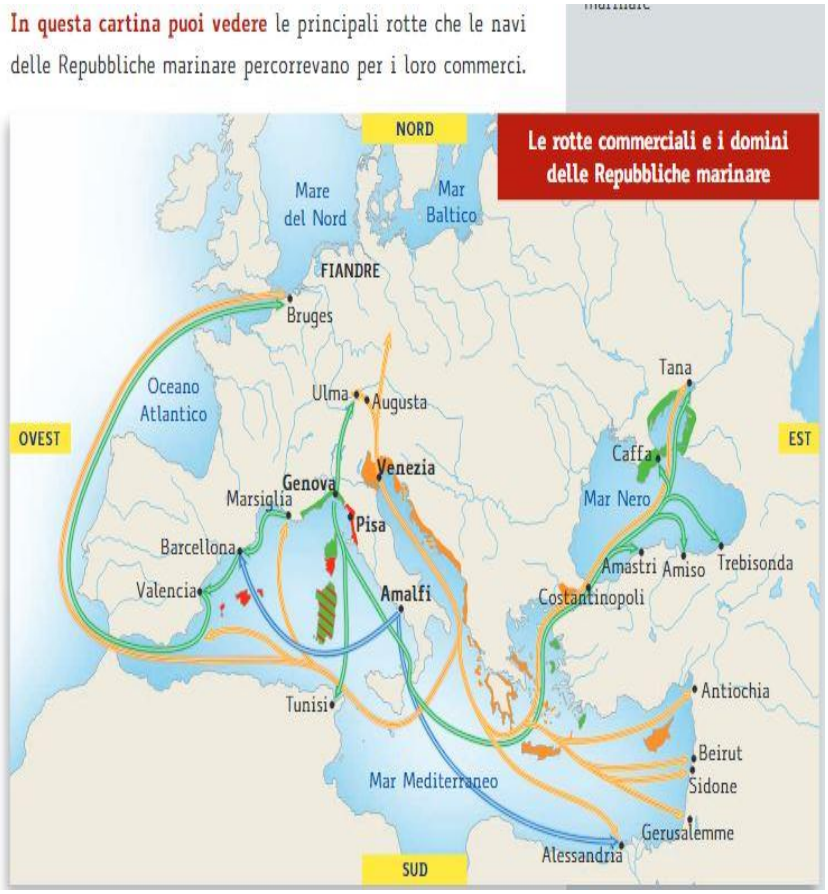

ثانياً– نظام القومونات:

تعني كلمة القومون (Commune) المدينة التي تتمتع بالاستقلال السياسي والحكم الذاتي، وفقاً لقوانين وتنظيمات تخدم مصالح الطبقة التجارية، ويختار أهلها حكَّامهم وموظفيهم بأنفسهم، دون أنْ يكون هناك مندوب من قبل سيد أو حاكم خارجي يتحكَّم فيها (زيتون، 1980: 30).

يرجع السبب في ظهور القومونات في إيطاليا إلى رغبة أفراد الأسر آنذاك في أنْ يكون لهم دور فيما يتعلَّق بنظامهم الاقتصادي والسياسي داخل القومون (الطحاوي، 1998: 138).

والجدير بالذكر أنَّ التجار ذوي الأصول الإيطالية أثناء عملهم على تغيير مدنهم القاطنين بها إلى قومونات تمتاز بطابع الاستقلالية، وكذلك أثناء صدامهم مع الأساقفة وطبقة النبلاء لم يواجهوا أي مشاكل دينية أو عرقية على عكس اليهود، ولم يكونوا مقيدين بقوانين تجارية صادرة من السلطات المحلية في المدن، وهذا أعطاهم حرية عدم التزامهم بتنفيذها، وبخاصة أنَّها لا تلبِّي طموحهم التجاري، كما أنَّهم أسَّسوا قومونات، هي في حقيقتها عبارة عن تكتلات تجارية أسَّسها التجار في تلك المدن، سيطرت بعضها على التجارة في البحر المتوسط (زيتون، 1980: 34)، على الرغم من أنَّ الأوضاع في شمال إيطاليا لم تكن معالمها واضحة، حيث أنَّ النظام الملكي كان هو السائد في البندقية، في الفترة ما قبل (1032م)؛ ولكن فيما بعد لم يستطع الحكَّام توريث الحكم في أعقابهم، وبالتالي تم الرجوع إلى عملية الانتخاب في اختيار الحاكم، وعليه عادت فئة الوجهاء في ممارسة الانتخاب (حاطوم، 1982: 889)؛ ولكن في البندقية استطاعت الفئة الارستقراطية من ذوي أصحاب السفن بتكاثفهم وتعاضدهم من الاستقرار على وضعهم ونفوذهم السابق، وذلك أمام أناس غير منظمين وطيعين، وأمَّا فيما يخص الوضع في جنوة فقد كان الشعب أيضاً في مواجهة مع الطبقة النبيلة؛ ولكن دوره كان ضعيفاً نسبياً، وفي حقيقة الأمر أنَّ الوضع في هاتين المدينتين في هذا الجانب كان مرجعه البنية الاجتماعية، وكذلك الاقتصادية لها وهي غير موجودة في المدن الأخرى بنفس الوضعية؛ وذلك مرجعه عدم فاعلية فئة وطبقة المستحدثين (حاطوم، 1982: 46).

في واقع الأمر لقد تحصَّلت المدن الإيطالية على براءات أعطت الضوء الأخضر للتجار في تكوين اتحادات ونقابات، وذلك من أجل حمايتهم من جشع الأمراء ونهبهم، بالإضافة إلى تقديم يد العون لمنتسبيها في حالات المرض والسرقة وغيرها (عزالدين، 2014: 33).

إنَّ تطور تلك المدن كان له توابع عميقة وكبيرة، ليس فقط على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي؛ ولكنَّه أثَّر بشكل كبير على الحياة السياسية في تلك المدن، ولاسيما في المدن الإيطالية في بدايات القرن الثاني عشر، وقد اكتسبت المراكز الحضارية استقلاليه مهمة جداً في مقابل السلطات التي تتبعها هذه المدن المتمثلة في الأساقفة (كونتي، والملوك، والأباطرة)، وقد أعطت هذه الاستقلالية حياة جديدة، و لاسيما في تلك المدن التي كانت تتصف بضعف السلطات المركزية فيها، وبين القرن الثاني عشر والثالث عشر أصحاب المال والنفوذ اتحدوا في جمعيات أو نقابات بهدف حماية مصالحهم، وحرية حركة البضائع، وتأمين من يعملون معهم، وعلى هذا المنوال، أسهمت هذه الدوافع في تمترس طبقة التجار، والتي تدعِّمها طبقة النبلاء في المدينة، والتي كانت مهتمة أيضاً بالنشاط التجاري، وهذا الشكل الجديد من التكتُّل سمي بالقومونات، ومنذ نشأتها كانت تمثِّل دائماً كل المدينة ومصالح قاطنيها (Luisa،.(2 :2006 وهذا انعكس إيجاباً على النشاط التجاري في المنطقة.

ثالثاً- دور الأسواق المرتبطة بالمناسبات في ازدهار التجارة :(Fiere):

عرف هذا النوع من الأسواق تاريخياً في تلك الحقبة ابتداءً من عام (1155م) وكان دائماً مرتبطاً بالمناسبات الدينية؛ نظراً لدور الكنيسة في تلك المدة، ثم ازداد وتطور هذا النوع من الأسواق ليشمل أيضاً المناسبات القومية مثل ذكرى الانتصارات في الحروب في تلك المدن، لطالما مثَّلت هذه الأسواق نهضة حقيقية في ازدهار التجارة في أوربا عامة، وفي شبه الجزيرة الإيطالية خاصة، حيث تمكَّن التجار من عملية تبادل واسع للسلع والمنتجات، حيث مثَّلت أيضاً مكاناً حيوياً يلتقي فيه التجار والحرفيون والمنتجون، إذاً هذه الأسواق أصبحت وجهة لاستقطاب أكبر عدد من المستهلكين؛ ليمثِّل ظهور هذا النوع من الأسواق لأول مرة مفهوم العرض والطلب وانطلاقة للتجارة في تلك المنطقة المهمة من البحر المتوسط Livigni،.(142).

رابعاً- الحروب الصليبية:

عند اندلاع الحروب الصليبية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، انضمت العديد من المدن للمشاركة فيها، وذلك ليس لقناعتها بها، وإنَّما لكي يكون لها حصة في الأراضي التي سيتم السيطرة عليها، وذلك حتى تكون لها مراكز تجارية دائمة حتى يتسنَّى لها الاستفادة من ثروات هذه المناطق، وكذلك اتخاذها سوقاً للمتاجرة فيها، فعلى سبيل المثال: كانت مدينة البندقية من أبرز المدن التي انضمت ودعمت الحروب الصليبية، وذلك لما كان بحوزتها من أساطيل كبيرة، وقد كان الدافع في انضمامها لهذه الحروب هو رغبتها في أنْ يكون لها طريق وممر للمتاجرة مع بلاد الشرق، وعلى هذا الأساس تحرَّكت لدعم هذه الحملات (صبرة، 1977: 18).

لقد قام البنادقة بتقديم المساعدات في الحروب الصليبية للصليبيين، وكل هذا من أجل الحصول على المكاسب الاقتصادية فقط (صبرة، 1977: 18).

كان من الطبيعي أنْ تتحصَّل البندقية على امتيازات من وراء مشاركتها ودعمها لهذا المشروع، فقد أعطيت امتيازات تجارية في إنطاكيا في عهد حكَّامها: بوهيموند الأول، وتانكرد وبهيموند الثاني، كذلك تحصَّلت في عام (1140م) على تخفيض في

دفع ما فرض من رسوم جمركية عليها، بالإضافة إلى توفير الأمن لتجَّارها (زيتون، 1980: 137)، وفي مملكة بيت المقدس أعطاهم الملك بلدوين الأول امتيازات تجارية في كل من بيت المقدس، ومدينة عكا، وقد كان ذلك في عام (1111م)، وذلك نظير ما قدَّموه من عون أثناء الهجوم على بيروت، وصيدا واحتلالهما سنة (1110م)، (زيتون، 1980: 138).

أمَّا فيما يخص جنوة فقد أسهمت في الحملات الصليبية، وذلك من خلال استخدام أسطولها في عملية نقل المقاتلين الصليبيين إلى المناطق العربية، أو من خلال توصيل الأسلحة والإمدادات إلى الجماعات المقاتلة للصليبيين في المشرق، وكذلك ساعدت في السيطرة على المواقع الساحلية ببلاد الشام، وتأمين المناطق التي تقع تحت سيطرة الصليبيين على الساحل، وفي الواقع أنَّ جنوة لم تسهم في هذه الحروب، بسبب إيمان حكَّامها وتجارها، وأهلها بالمشروع الصليبي، وإنَّما كان الهدف هو الحصول على المنافع الاقتصادية والتخلُّص من هيمنة الإمبراطورية البيزنطية على مسالك التجارة مع بلاد المشرق (الكناني، 1976: 76).

لقد تحصَّلت جنوة على عدَّة امتيازات ومكاسب تجارية، نظير دعمها للمشروع الصليبي مثلها مثل المدن الإيطالية الأخرى، ومن بين هذه الامتيازات أنَّهم بنوا فندقاً ذو تصميم غربي يحتوي على ثلاثين طابقاً، وكذلك إعفائهم في إنطاكيا والمناطق المحيطة بها من دفع المكوس والضرائب، ولم تتوقَّف الامتيازات المعطاة للجنويين؛ بل استمرت فيما بعد (عزالدين، 2014: 37 – 38).

4- بيزا:

ظهرت بيزا في بداية القرن الثاني عشر قوةً حربيةً عظمى، فقد شاركت في الحملة الصليبية الثالثة بأسطول بحري تعداده خمسون سفينة، والتي انطلقت في منتصف سبتمبر سنة (1188م) صوب الأراضي المقدَّسة، ولقد تحصلت بيزا على امتيازات نظير مشاركتها في المشروع الصليبي، حيث قام الملك جاي لوزنيان ملك

بيت المقدس، وزوجته بإعطائهم كل الغنائم التي تحصلوا عليها في صور وعكا، وبما فيها صور نفسها Luisa،.(2 :2006) .

خامساً- العلاقات التجارية مع الإمبراطورية البيزنطية:

لقد كانت المدن الإيطالية دائماً تسعى إلى توسيع مناطقها التجارية في العاصمة البيزنطية القسطنطينية (القسطنطينية، 1997: 347)، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدل على نمو ازدياد عدد الإيطاليين الذين يمارسون النشاط التجاري في القسطنطينية، هذا بالإضافة إلى أنَّ التنافس التجاري بين المدن الإيطالية ظهر واضحاً من خلال التوسُّع في رقعة أي حي تابع لأي مدينة من المدن الإيطالية التي تمارس نشاطاً تجارياً في العاصمة القسطنطينية مقارنةً بالأحياء التابعة للمدن الأخرى، وهذا التوسُّع الإيطالي كان على حساب نظرائهم البيزنطيين. (حاتم، 1998:91).

في واقع الأمر أنَّ البحر المتوسط كان مسرحاً للنشاط التجاري للمدن الإيطالية، وقد حرصت هذه المدن على تأمين نشاطها، وذلك بسبب المكاسب التي كانت تتحصَّل عليها من وراء ممارستها لهذا النشاط، ولم تكن هذه المدن الإيطالية تستبعد أي خيار في سبيل تأمين ميدان نشاطها ولو عسكرياً، وهذا بدوره جعل هذه المدن تدخل في تنافس تجاري فيما بينها، وأبرز معالم هذا التنافس ذلك الذي كان بين البندقية وجنوة (عزالدين، 2005: 46-47)، وقد ازداد هذا التنافس وبالأخص في عهد ميخائيل الثامن (1258- 1282م) الذي وقَّع اتفاقية مع الجنويين في (1261/3/13م)، والتي انتقلت بموجبها الامتيازات التجارية من البنادقة إلى الجنويين (يوسف، 2016: 24- 25).

لقد انعكس هذا التنافس على السياسة البيزنطية تجاه هاتين المدينتين، بحيث أصبحت متأرجحة ممَّا أدَّى إلى ازدياد النفوذ الاقتصادي لهما على الأراضي البيزنطية، حتى وصل الاقتتال إلى أراضيها ومياهها(يوسف، 1966: 174)، وهكذا

يتضح من خلال هذا العرض دور العلاقات التجارية للمدن الإيطالية مع الإمبراطورية البيزنطية في ازدهار هذه المدن على حساب الإمبراطورية البيزنطية وتجارها.

سادساً- الأساطيل التجارية القوية للمدن الإيطالية:

لقد كان البنادقة على دراية كبيرة بالملاحة البحرية، فقد استغل البنادقة توفر الأخشاب في المناطق المحيطة بهم، وبالتحديد في الجبال، حتى أنَّ حركة النقل داخل شوارع المدينة كانت بالقوارب، وقد أنشأوا دارين لصناعة السفن، حيث استغل أصحاب هذه السفن سفنهم في أعمال القرصنة في بداية الأمر على السفن، ولكنَّهم أصبحوا فيما بعد صيادين، ومن ثم تجاراً، وأصبح الأسطول البندقي وسيلة لاتصال الشرق بالغرب، وحملوا البضائع بين العالمين الشرقي والغربي، وبالتالي كوَّنت البندقية من خلال أسطولها ثروةً باهظةً، وكان للجنويين أسطول كبير، وكانوا أيضاً على دراية بالطرق البحرية، ومارسوا هم أيضاً أعمال القرصنة؛ ولكن اشتغلوا أيضاً بالتجارة حتى أنَّهم وصلوا إلى سواحل المغرب عام (1163م)، وهذا إنْ دلَّ على شيء، فإنَّما يدل على نشاطهم التجاري، وأمَّا بيزا فقد عرف سكانها أيضاً صناعة السفن، وكانوا يميلون لخوض البحار وأساطيلهم التجارية التي مكَّنتهم من إقامة علاقات تجارية مع العديد من المناطق في العالم (مجدي، 2005: 50- 54)، هذا وقد استفادت المدن الإيطالية أيضاً أثناء الحروب الصليبية، وذلك عندما شاركت في هذه الحروب الصليبية، وذلك عندما شاركت في هذه الحروب مقابل حصول هذه المدن على امتيازات تجارية كما ذكرنا سابقاً.

انطلاقاً من كل ما تم ذكره تتضح أهمية العوامل السابقة في ازدهار النشاط التجاري في المدن الإيطالية إبان العصور الوسطى، والذي انعكس إيجابياً على أوضاع المدن الثلاث (البندقية، جنوة، بيزا).

الخاتمة:

لقد تطرَّقنا في هذا البحث لعوامل ازدهار النشاط التجاري في المدن الإيطالية الثلاث (البندقية، جنوة، بيزا)، وقد تمكَّنا من الوصول إلى عدَّة نتائج مهمة على النحو الآتي:

1. توفر الأخشاب والموقع الجغرافي كانا وراء توجُّه سكان المدن الثلاث لممارسة النشاط التجاري خارج شبه الجزيرة الإيطالية.
2. الركيزة الأولى والأساسية لهذه المدن فيما يخص نشاطها التجاري هو الأسطول البحري، لأنَّه كان الفيصل في كل نشاطهم، سواء في الحروب الصليبية أو فيما يتعلَّق بعلاقتهم بالبيزنطيين.
3. ظهور نظام القومونات لم يكن الهدف منه مشاركة الأسر، وعامة الشعب في الحكم فقط، أو في الحياة السياسية، وإنَّما كان بمباركة التجار الذين كانوا يريدون التخلُّص من ضغط الحكَّام.
4. تفوُّق الأسطول البندقي على الأسطولين الجنوي والبيزي مرجعه الموقع المميز للبندقية، كذلك قناعة البنادقة بأنَّ طبيعتهم فقيرة جداً، وليس لديهم وسيلة عيش سوى الأسطول البحري.

المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر:

1. القلقشندي، أبو العباس أحمد. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1922م).
2. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله، معجم البلدان دار صادر، (بيروت، 1997م).

ثانياً- المراجع:

1. حاطوم نور الدين، الموسوعة التاريخية الحديثة، تاريخ العصر الوسيط في أوربا، دار الفكر، (دمشق، 1982م) ج1-2.
2. زيتون، عادل، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، دار دمشق للطباعة والنشر، (دمشق، 1980م).
3. الطحاوي، حاتم، بيزنطة والمدن الإيطالية (العلاقات التجارية، 1081- 1204م)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (بدون مكان، 1998م).
4. عبد النبي، ناجلاً محمد، مصر والبندقية (العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك الجراكسة، 1382- 1517م/ 784- 923هـ)،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (بدون مكان، 1998م).
5. اليوسف،عبد القادر أحمد، الإمبراطورية البيزنطية، دار الكتب العصرية، (صيدا، بيروت، 1966م).

ثالثاً- المراجع الأجنبية:

1. Angelini، Andera: Pisa e i lslam: scontri e incontridullerottedelmediterraneo، lulu. Unipisa، 2021، P34.
2. Benvenuti، Gino: Le repubblichemarinare. Amalfi، Pisa Genova Venezia، Newton، 1989، P 185- 186 .
3. F،Braudel، //mediterraneo.lospazio e lastoria،gliwominielatradizione (milano، 2002)، P 5 .
4. Luisa amaria: Pisa nelmediterraneo durant il il xiii secolo، Bollettino، storico Pisa ano، 2006، P2.
5. Livigni، Glahhi: Espansione Agricola sviiuppoUrbano، dopo Il Mille Ilmulino، milano.
6. Orlando Di Ermahho: Le repubblicheWarinare، 11 Mulino، 2021، P 64- 66.

رابعاً- الرسائل العلمية:

1. حسن، عز الدين يونس، البندقية وأثرها في العلاقات بين الشرق والغرب (489-691هـ/ 1095- 1291م)، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة قاريونس خلال العام الجامعي (2004- 2005م).

2ـ العلاقات التجارية بين جنوة والمغرب أواخر العصور الوسطي من القرن الثالث عشر حتي منتصف القرن الخامس عشر، رسالة دكتوراه غير منشورة نوقشت بجامعة المنصورة خلال العام الجامعي، (2013، 2014م).

3. سلام، مجدي يسن عبدالعال عبدالله، العلاقات التجارية بين دولة بني مريف والجمهوريات الإيطالية (جنوة، بيزا، البندقية) رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة الزقازيق خلال العام الجامعي (2004- 2005م).

4. صبرة، عفاف سيد، علاقة البندقية بمصر والشام من بداية القرن الثاني عشر في نهاية القرن الرابع عشر، رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة خلال العام الجامعي (1977م).

5ـ الكناني، مصطفي حسن محمد، العلاقات بين جنوة والفاطميين في الشرق الأدنى (1095- 1171م/ 487- 567هـ)، رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الإسكندرية خلال العام الجامعي (1976م).

6. يوسف، يوسف أمراجع محمد، العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدول الإسلامية في الفترة ما بين (660- 857هـ/ 1261- 1453م) رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بجامعة بنغازي خلال العام الجامعي (2015- 2016م).

(*) البندقية: هي طائفة مشهورة من الفرنج، وقاعدة ملكهم البندقية، ويفصلها عن جنوة عن طريق البر ثمانية أيام، وعن طريق البحث أكثير من شهرين = القلقشندي، أبو العباس أحمد: صباح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1922م) 405/5.

(**) جنوة: وهم طائفة من الفرنج مشهورة أيضاً وقاعدة ملكهم جنوة، وهي تقع غربي بلاد الببيازنة = القلقشندي: المصدر نفسه، 405/5، 406.

(***) بيزا: بفتح الباء الموحدة والياء المثناة تحت، وألف ثم زاي معجمة مكسورة ونون مفتوحة وهاء في الآخر وهي فرقة من الفرنج وقاعدة ملكهم بيزا = القلقشندي: المصدر نفسه، 411/5.